الوضع الصحي والطبي في الجزائر
1830–1870 (العهد العسكري)

Health and Medical situation in Algeria
1830-1870 (The military era)

د عبد الرحمان التونسي/ جامعة خميس مليانة

الوضع الصحي والطبي في الجزائر 1830-1870 (العهد العسكري)

Health and Medical situation in Algeria 1830-1870 (The military era)

د عبد الرحمان التونسي
جامعة خميس مليانة

ملخص:

كثيرا ما وسمت الكتابات التاريخية الاستعمارية الفترة العثمانية في الجزائر بالتدهور والكارثية خاصة في الفترة المتاخرة منها، مصورة الظروف الصعبة التي عاشتها الجزائر خلال العهد العثماني، والتي أثرت على التطور العلمي في البلاد، وعدم الاستقرار السياسي على المستويين الداخلي والخارجي، مما أدى إلى ركود فكري وانطفاء مراكز الإشعاع العلمي التي كانت في القرون السابقة. محاولة تغطية ما صاحب الحملة الاستعمارية من امراض واوبئة ذات طابع أوربي محض، مما اضطر الوافدون الجدد الى البحث عن حلول طبية عاجلة في الفترة مابين 1830-1870 او ماعرف بالعهد العسكري .

الكلمات المفتاحية: العهد العسكري - الوضع الصحي - الأمراض والاوبئة- الطب- المستشفيات

Abstract:

The colonial historical reports had, so much, characterized the ottoman period in Algeria as a chaotic one, mainly at the end of it. Describing the difficult conditions, that Algeria went through during the ottoman rule,which in return affected the scientific development in the country. causing political instability, at the internal and external levels, aswell as intellectual inactivity as the scientific centres, which were prolific in the past centuries, disapeared. This article tries cover all of what happened during the campaign of colonization, such as: diseases and pandemics brought into algeria from Europe. The new comers were obliged to cope with the situation and looked for medical solutions in between 1830-1870, a period known as the military era.

Keywords: military era, health situation, diseases and pandemics, medicine, hospitals.

مقدمة:

للوقوف على الواقع الاجتماعي للجزائر في بداية الاحتلال نحاول تتبع اوضاع البلاد من خلال تتبع اخبار الحملة الفرنسية وما شهدته البلاد خلال فترة الحكم العسكري 1830–1870، انطلاقا من الوضع الصحي الذي ساد البلاد وترك بصمات قاسية في ذاكرة السكان، فالتقارير الفرنسية والتي معظمها كانت موافقة للحملات العسكرية الأولى، تشير من خلال وصفها للوضع العام إلى تدني كبير لمستوى معيشة في ظل سياسة فرنسية هوجاء.

أولا- الوضع الصحي والطبي قبيل الاحتلال 1792-1830

اتفقت الكتابات الأجنبية، التي أرخت للجزائر في أواخر الفترة العثمانية، على إعطاء صورة قاتمة عن الوضع الصحي والطبي في الجزائر العثمانية، فوصفها المؤرخون الأوروبيون على أنها بلد لا علاقة له بالعلوم الطبية ومنهم لوجي دوتاسي[1] الذي نفى وجود أطباء في الجزائر، في الوقت الذي أكد فيه الرحالة شاو[2] (Shaw) وجود أطباء جزائريون ولكن القليل منهم من عرف مشاهير أطباء العرب كابن سينا والرازي، مع التذكير أن أوروبا خلال نفس الفترة، في منتصف القرن 18، لم تعرف بعد تطورا يذكر في علم الطب الحديث، في حين اثبت باحثون جزائريون مختصون في الشأن الطبي الجزائري خلاف ادعاءات الأوربيين وبينوا بالأدلة التاريخية الوجه المضيء للوضع الصحي والطبي للجزائر في هذه الفترة، وان الجوائح لم تكن خاصة بالجزائر وحدها وانما عمت كامل الحوض المتوسطي آنذاك وأن بعض الأوبئة كانت غريبة عن الجزائر المحروسة، وإنما نقلها الغزاة الفرنسيون معهم خلال حملتهم على الجزائر 1830[3].

أ-الظاهرة الوبائية في الجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830

كانت الظاهرة البارزة التي لفتت انتباه الباحثين عند دراستهم الأوضاع الاجتماعية في الجزائر هي تناقص عدد السكان ابتداء من أواخر القرن 18، والتي ارجعها البعض لعدة عوامل من أهمها انتشار الاوبئه. إذ أن أغلب المصادر التي تناولت الحياة الصحية للجزائر العثمانية، أشارت إلى تعرض الجزائر إلى أوبئة مختلفة وفي كل القرون الحديثة، ولعل أبرز الاوبئة الفتاكة التي مستها هي مرض الطاعون، الذي يعود ظهوره إلى عام 1552 حسب مخطوط الباحث الفرنسي بيربروجر[4] Berbrugger والذي طبع سنة 1847 بباريس والموسوم **«مذكرات عن الطاعون من 1552 الى 1819»**[5].

ومن أخطر السنوات، التي عرفت فيها الجزائر وباء الطاعون، سنتي1817–1818، حيث تم تسجيل 13030 ضحية، من بينهم 2048 ضحية في مدينة الجزائر خلال شهر واحد، بمعدل (150 وفاة في اليوم) ثم يليه وباء سنة 1822 الذي بلغ فيها عدد الضحايا 2272 شخص[6].

و تجدر الإشارة الى أن هذه الأوبئة كانت تنتقل الى الجزائر عن طريق الحجاج والجنود القادمين من المشرق، هذا ما يؤكده احمد الشريف الزهار «عندما بلغت المراكب المهداه من اسطنبول جاء معها الوباء الى الجزائر ناره سنه 1817 كان الوباء يتسرب الى الجزائر في غالب الأحياء عن طريق البحر إذ نجد أول من كان به هم عمال الموانئ[7]، وبعد ذلك ينتشر في بقيه انحاء البلاد.

وقد انتقل الوباء من المدن العثمانية الساحليه إلى الإسكندريه ثم دول المغرب العربي حسب القنصل الفرنسي بالاسكندريه دروفوتي الذي ذكر في أحد تقاريره ما يلي **«لقد طلب قناصل الدول المقيمه من محمد علي ان يمنع الجنود العثمانيين من النزول من سفنهم تفاديا لانتشار الوباء»**، ورغم الإجراءات المتخذه والتحذيرات نزل الجنود إلى البر، فانتشر الوباء كالنار في الهشيم في الرشيد ودمياط وبعد فتره قصيره شمل الوباء معظم المناطق الداخليه، وهذا مايدل أن الوباء مصدره المشرق حسب دروفتي[8]. ولم تسلم الجهة الغربية من الطاعون، حيث يذكر الرحالة أبو القاسم الزياني أواخر القرن الثامن عشر، أنهم: **«خرجوا من تلمسان إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء، الذي حل بها، وكان عامّا في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم»**. وضربت المجاعة المناطق الشرقية أيضا (قسنطينة) 1804–1805، إذ يصفها العنتري بقوله: **«أنزل الله القحط على الخاص والعام، حتى صار العباد يأكلون لحوم بعضهم من شدّة الجوع وانقطع الطعام، واستمر ذلك مدّة سنة كاملة[9]»**. وقد أدت إلى هلاك العديد من الناس، من بينهم العلماء كالفقيه عبد القادر السنوسي ابن زرفة، وأخيه الفقيه الهاشمي، وابن عمهما الأديب صاحب تأليف «فتح وهران»، مصطفى بن عبد الله[10].

ب-الممارسة الطبية خلال العهد العثماني

تذكر المصادر التاريخية قيام حسن بن خير الدين بإنشاء أول مصلحة استفائية سنه 1550[11]. كما أشارت أيضا إلى وجود مراكز علاجية لكل الشرائح المكونة للمجتمع الجزائري آنذاك (أتراك عثمانيون- أوربيون- اهل البلد).

1- الاتراك العثمانيون:

و كان معظمهم من الأسر الحاكمة أو الفرق الإنكشارية أو الأوجاق، الذين كانوا في مهمات دائمة أو مؤقته بالجزائر، كان يسير النظام الطبي الخاص بالعثمانيين باش جراح، وهو امين الأطباء والمسؤول العام للصحة، كانت مصالحه توجد بإقامة الداي أو الجنينه أي مستشفى باب الواد حاليا، وغير بعيد عنها أُنشئت الصيدلية المركزية التي كانت تزود المصالح الإستشفائية بالأدويه المتمثلة في الأعشاب الطبية[11]. وتعلمنا ذات المصادر بوجود أطباء عسكريين جاءوا من تركيا ومصر لقضاء الخدمة العسكرية في الجزائر، وفي علاج أفراد الجيش بكل أنواعه، في وقت سجلنا عودة هؤلاء الأطباء إلى أوطانهم بمجرد انتهاء خدمتهم[12].

أما من حيث الهياكل الاستشفائية فقد سجلت المصادر وجود مجموعة من دور التمريض عرفت بالملاجئ في مدينة الجزائر، من أشهرها نذكر ملجأ للأمراض العقلية وآخر للعاجزين والمعاقين من الإنكشارية، وملجأ بوطويل الخاص بالسكان المعوزين من أهل البلد، والذي كان مقره بالموقع الحالي لثانوية الأمير عبد القادر باب الواد، وأشهرها الملجأ الخاص بالمعاقين والمرضى العثمانيين ملجأ سيد والي دادا، الواقع في شارع الديوان (قبل مسجد كتشاوة)، والذي استمر في العمل حتى بعد الاحتلال الفرنسي كما تشير المصادر[13].

2- الأوربيون

سيبرز من الأوربيين الموجودين في المحروسة الأسرى الأطباء، والذين سيجدون فرصتهم عكس أقرانهم من الأسرى،

في التطبيب لكبار الشخصيات وأهل المدينة، وتعويضهم للنقص الذي خلفه التطبيب بالطب الشعبي أو المحلي خاصة في مدينة الجزائر.

إن الوضعية السابقة جعلت من الحكام، أكثر حذرا في التعامل مع الأطباء المحليين وجعلت من الطب الشعبي، طب العامة من الفقراء، وفي المناطق التي تقع خارج مدينة الجزائر، كون السكان المحليين أصبحوا ينظرون إلى الطاعون «كعقاب إلهي»، وفي المقابل جعل الحكام من الأطباء الأسرى المعالجين الخاصين بهم، وقد برز في هذا المجال العديد من الأطباء الأسرى من أشهرهم مانويل مورللو الاسباني 1678 بوهران، والطبيب الهولندي سانسون الذي كان أسيرا لدى باي قسنطينة سنة 1713 م، الذي كان على اتصال مع الرحالة العالم توماس شاو عندما زار قسنطينة، حيث زوده بمعلومات حول الطب. ولعل أشهر الأطباء الأسرى كان سيمون بفايفر[14]، الذي ترجم كتابه إلى العربية، وقد أسر بفايفر سنة 1825، وأطلق سراحه بعد الاجتياح الفرنسي للجزائر. وبعد علاجه للداي جعل منه طبيبه الخاص، وانحصر نشاط بفايفر في معالجه كبار مسؤولي الدولة، لكن أثناء الدخول الفرنسي، عمل في معالجة المصابين[15].

3- أهل البلد أو الجزائريون

يمارس أهل البلد الطب الشعبي التقليدي الذي يعالج المرضى بالطرق البسيطة باستخدام النباتات الطبية المجمعة محليًا[16].ويكمن تصنيفهم في مجموعتهم حسب تمكنهم من ممارسة فن الشفاء الى اطباء عاديون وحكماء اكتسبوا سمعة طيبة في المجتمع، وجراحين. في حين نجد القابلة التي غالباً ما تعالج النساء في غالب الأحيان، ويمكن للطبيب أن يتدخل لعلاج في حالة غياب القابلات او عجزهن، وبناء على طلب صريح من أزواجهن[17].

وقد شد انتباه العقيد الطبيب برتراند دور دليل القافلة في الصحراء في إسعاف المعطوبين والمرضى واعجب بنظافة الرجل وحنكته في علاج الكسور ولسعات الثعابين وعضات العقارب، وكذلك الامر بالنسبة لمسعفي المناطق الداخلية من البلاد. وقد اشتهرت بعض القبائل بمعرفتها بالطب وأسراره، وتخصصها في علاج كسر العظام أو ما يعرف بالجبيرة[18].

ومن أشهر الأطباء الجزائريين في هذه المرحله طبيب تلمسان نور الدين بن نصر الدين المكي وأحمد بن القاسم البوني أصيل عنابه وعبد الرزاق بن حمادوش وأحمد بن بلقاسم الذي عاصر أحمد باي بقسنطينه وكان الأتراك كثيرا ما يلجئون إليه[19].

ثانيا- الأوضاع الصحية والطبية في الجزائر المستعمرة 1830-1870

أ-الأوبئة والأمراض ترافق الحملة الفرنسية على الجزائر 1830-1870

لم يتفاجأ الجزائريون بالحملة الفرنسية على شواطئهم مثل ما تفاجؤوا بالامراض والاوبئة التي رافقت هذا الجيش الذي يدعي الانتساب الى حضارة راقية وعلى راسها الجذري والكوليرا والتيفوس، متسببين في خلل صحي رهيب في البلاد بلغ ذروته 1866–1868[20].

اذ تخبرنا الدراسات العلمية البكترولوجية عن وجود اختلاف كبير بين الأوبئة والأمراض، فالوباء اخطر من المرض

كونه معد ويصيب منطقة معينة وفي وقت معين، ويكون انتشاره بصفة رهيبة واكثر فتكا بالمصابين[21].

و سنحاول في دراستنا هذه التركيز على احد هذه الاوبئة الفتاكة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

-وباء الكوليرا(Choléra)

«الكوليرا مرض بكتيري عادةً ما ينتشر عن طريق الماء الملوَّث. تتسبَّب الكوليرا في الإصابة بإسهال وجفاف شديد. وإذا لم يتم علاجها، فإنها يمكن أن تكون قاتلة خلال ساعات، حتى لدى الأشخاص الذين كانوا أصِحَّاء سابقًا. تم القضاء فعليًا على الكوليرا في البلدان الصناعية بواسطة الصرف الصحي الحديث ومعالجة المياه. ولكن ما تزال الكوليرا موجودة في أفريقيا، وجنوب شرق آسيا، وهايتي. يرتفع خطر الإصابة بوباء الكوليرا عندما يُرغِم الفقر أو الحرب أو الكوارث الطبيعية الأشخاص على العيش في الظروف المزدحمة دون وجود مرافق الصرف الصحي الملائمة. يمكن علاج الكوليرا بسهولة. ويمكن الوقاية من الوفاة بسبب الجفاف الشديد عن طريق استخدام محلول إمهاء بسيط وغير مكلِّف»[22].

وقد اعتبر العديد من الأطباء الفرنسيين أن عامل الاستيطان، من أهم أسباب ظهور وباء الكوليرا في الجزائر، هذا الوباء الذي ينطلق عادةً من مدن ذات الموانئ ويصل تدريجيا إلى المناطق الداخلية بإتباع التواجد العسكري الفرنسي ومراكز الاستيطان[23].

ويعد الكوليرا من أخطر الأوبئة التي عرفتها فرنسا قبل الجزائر خلال القرن التاسع عشر وكثيرا ما كان وباء الثلاثينات من القرن 19 يذكرهم بالحمى الصفراء التي حصدت الآلاف في برشلونة 1821[24].حيث كلف العشرات من الأطباء لدراسة سبب الوفاة عند ثلاث جثث وجدت ميته في فرنسا 1832، واستمر الوباء في الانتشار الى ان وصل الذروة وبقيت فرنسا موبوءة حتى 1854، وهو ما تؤكده الدراسات والإحصاءات التي نشرت في تلك الفترة[25].

و تشير المصادر أن الوباء ظهر أيضا في الحجاز 1831، وقد تأثرت عدة مواسم حج بهذا الوباء الخطير الذي خلف الآلاف من الضحايا خلال مواسم 1835 و1846 و1848، وبصفة مستمرة خلال الفترة مابين 1857–1865، وتذكر المصادر أن منشأه منطقة الغانج بالهند اين اصبح يشكل جائحة دائمة الوجود[26].

كانت أول إصابة سنة 1833 في المرسى الكبير بعمالة وهران بعد دخول باخرة قادمة من جبل طارق، وفي السنة الموالية 1834 أصيبت مدينة الجزائر جراء عدوى جديدة عن طريق باخرتين قادمتين من مارسيليا وطولون، في الوقت الذي أعاد فيه بعضهم السبب إلى انتقال العدوى من إسبانيا عن طريق المهاجرين من قرطاجنة الإسبانية، الذين كانوا سببا في كارثة وهران 1834[27].

في 3 أكتوبر 1834، كانت هناك 12 حالة في المرسى الكبير و305 في المستشفى العسكري في وهران. كما تم الإبلاغ عن عدد قليل من الحالات بين السكان المدنيين، وكذلك الوفيات ؛ تم تخصيص مستوصف لاستقبال المرضى. بين 5 و10 يناير 1834، في المرسى الكبير، بين العسكريين، كان هناك بالفعل 25 مريضا و13 حالة وفاة. وسوف ينتشر الطاعون في المدينة بأكملها، مما أسفر عن وفاة ما يقرب من 500 مدني والعديد من الجنود. كما سيصل الوباء إلى معسكر ومستغانم

حيث سيكون هناك ما يقرب من 1500 ضحية، كما وصل الوباء إلى المدية وملیانة[28].

كانت حصيلة شهر أوت 1835 مروعة: حيث سجلت الإحصاءات 33 ضحية اوربية (6.75 ٪ من السكان)، وبين المسلمين 41 (13.5 ٪ من السكان) وبين اليهود 174 (٪4.5 من السكان). ولم يعد مستشفى الداي كافيًا للجيش الموبوء، ما سيضطره السيطرة على تكية باب عزون التي تركها من قبل للسكان المدنيين. قدرت الإحصاءات في 4 سبتمبر 1835 بالمدينة سبعة آلآلف. وتوزعت الحالات والوفيات كما يلي:

في الجزائر المدينة 1083 حالة و749 وفاة- في الضواحي 91 حالة و32 حالة وفاة- في المستشفى المدني 293 حالة و170 حالة وفاة- في مستشفى الداي: 502 حالة و140 حالة وفاة- في مستشفى مصطفى 89 حالة و30 حالة وفاة -في مستشفى كاراتين العسكري 465 حالة و205 وفاة. ما مجموعه 2503 حالة و1426 ضحية.

توفي 1220 مدنيًا، و639 جنديًا من بينهم الصيدلي الكبير في الجيش جوفينغ juving والصيدلي الرائد ماري، بالإضافة إلى العديد من الأطباء والجراحين[29]. ومما زاد الطين بلة انتشار الوباء خارج العاصمة بعد ان مس مصطفى باشا سيضرب بقوة في انحاء العمالة الجزائرية كبوفاريك والدويرة والبليدة والمدية وملیانة، وستصل حتى عنابة في أكتوبر 1835، عن طريق البحر، تسبب 381 حالة وفاة بما في ذلك 204 من السكان الأصليين[30].

أسفر تقييم السلطات لهذا الوباء عن وفاة 12 ألفًا لجميع الجزائريين و14 ألفًا لقسنطينة، وهو ما يعادل اختفاء مدينتين كاملتين مثل معسكر ومستغانم[31]. وبقي أثر الوباء طفيفا خلال سنة 1837، ليتفاقم الأمر من جديد سنة 1849 ويشمل المقاطعات الثلاث ويتسبب في هلاك 782 شخص، من بين 1042 إصابة، وكان سببه قدوم سفينة من مرسيليا نحو الجزائر حاملة على متنها أحد المصابين بالكوليرا، والذي نقل إلى مستشفى الداي وتوفي هناك[32]. مع الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تعلم بوجود الوباء بمرسيليا، إلا أنها لم تطبق سياسة الحجر الصحي على السفن القادمة من المناطق الموبوءة[33].

و بهذا وجدنا أن البلاد قد عاشت في بداية الاحتلال الفرنسي حالات متكررة من الأمراض والأوبئة التي أصبحت من الوضعيات المألوفة لدى السكان . فخلال الحملات العسكرية الأولى أشارت تقارير عن عدد الوفيات التي أصابت قوات الاحتلال الفرنسي، جراء انتشار وباء الكوليرا، مثل حالة 1849 التي أصيب فيها العشرات من قوات الجنرال serrokka، والضابط pein بان، في حملاتهم ضد قوات ثورة ابن شبيرة ببوسعادة وجنوب منطقة الحضنة سنة 1849، وتعتبر فترة الصيف الحارة أهم فترات انتشا ر الأمراض والأوبئة بمنطقة الحضنة كالتيفيس typhus والرماد العيني والكوليرا[34].

المؤسسات الاستشفائية الاستعمارية :

1-المستشفيات العسكرية:

بعد الإنزال في منطقة سيدي فرج في جوان 1830 وجد الجيش الفرنسي نفسه أمام محيط طبيعي لم يتكيف معه، وفي مواجهة جيش جزائري تسبب له في العديد من الجرحى والمرضى، مما دفعه إلى إقامة مستشفيات استعجالية ومؤقتة،

تحولت إلى مستشفيات ومراكز استشفائية عسكرية، ثم إلى مستشفيات استعمارية في ما بعد من أجل سد المتطلبات الصحية للجيش الفرنسي في البداية ثم للمستوطنين بعد ذلك[35].

إن هذه المستشفيات العسكرية الفرنسية لم تكن من إنجاز الجيش الفرنسي، وإنما هي عبارة عن مؤسسات كانت تابعة للدولة الجزائرية تم الاستيلاء عليها وتحويلها إلى مستشفيات عسكرية لخدمة جيش الحملة، كالثكنات والمساجد والزوايا والمنازل الفخمة.

لذلك نجد هنري كلاين (Henri klein) يصف المستشفيات العسكرية الفرنسية في بداية الاحتلال على أنها عبارة عن خيم ومنازل ومساجد وثكنات وحصون . أما الصيدليات فكانت في ثكنة الخراطين وفي مسجد علي بتشين ومساجد أخرى[36]. بعد سقوط العاصمة واستيلاء الفرنسيين على ممتلكات الدولة وممتلكات رجال الحكومة والأوقاف، تم تحويل المؤسسات الدينية[37] والحكومية إلى مستشفيات للجيش الفرنسي نذكر منها ما يلي:

-جامع الباشا الحاج حسين ميزمورطو:

كان جامعا كبيرا بصومعة رشيقة، وقبته الأصيلة. وقد بني حوالي 1097 (1685)، وإلى جانب الجامع مدرسة. ولكن الاحتلال الفرنسي أبى إلا أن يجعل هذا الجامع كغيره، أثرا بعد عين. فمنذ 1830 استولى عليه الجيش وحوله إلى مستشفى عسكري. وفي سنة 1836 سلمه الجيش إلى الإدارة المدنية، فشرعت في هدمه ودام ذلك، كما يقول ديفوكس، ثمانية عشر شهرا. وقد دخل الجزء الكبير من ترابه في الطريق العام، ودخلت أطرافه في المنازل المجاورة مثل دار بازار فيالار. وكان يقع في شارع شارتر[38].

-زاوية تشكتون:

بشارع الصقر والمحاذية لثكنة الخراطين، كانت موجودة منذ القرن السادس عشر . ألحقت بالثكنة سنة 1830 وفي 1838 الحقت بالمستشفى المدني الذي تم إنشاؤه محل لهذه الثكنة، حيث استعملت الزاوية كملجأ للعساكر العاجزين.

-جامع خضر باشا:

تولى خضر باشا حكم الجزائر ثلاث مرات. وقد بنى جامعه هذا حوالي (1005هـ 1596م) على أنقاض جامع آخر صغير. وأوقف عليه أوقافا عظيمة وكان الجامع للصلاة الجامعة والخطبة والتدريس. وعند الاحتلال عطل الجامع عن غرضه وألحق بمستشفى الخراطين، وهو المستشفى الذي أقيم داخل ثكنة الخراطين القديمة. ثم هدم الجامع جزئيا سنة 1836م وأصبح جزء منه داخلا في أحد المنازل الأوروبية[39].

-مسجد الجنائز:

وله اسم آخر أجمل من هذا وهو مسجد الحاج باشا الذي جدده سنة 1545م. وكان عندئذ يحكم الجزائر بالنيابة. إذن قديم رغم صغره. وآخر وكيل له سماه الداي حسين حوالي 1825م، وهو الشيخ محمد بن مصطفى غرناوط، فقد عطلته سلطات الاحتلال سنة 1836م وجعلته جزءا من المستشفى المدني. وبعد سنتين جعلته جزءا من المخزن المركزي

للمستشفيات العسكرية[40].

-زاوية القشاش:

وكانت تقع في شارع القناصل، وملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الاسم(القشاش)، وكان مصيرها هو مصير الجامع المذكور، وكانت ضخمة وتستعمل لإقامة العلماء والغرباء والطلبة الفقراء، وكان هؤلاء يحصلون فيها أيضا على الغذاء. وكانت زاوية القشاش ملجأ ومدرسة عليا. وممن نزلها قبل الاحتلال بسنوات قليلة الشيخ محمد بوراس الناصر المؤرخ والحافظ المعروف. وكان للزاوية أستاذ واحد على الأقل يدرس الفقه والتوحيد، وعشرة قراء يؤدون ما نصت عليه الوقفية من القراءات. وآخر وكيل كان مسؤولا على الزاوية هو محمد بن الجيلاني، والمعروف أن هذه المؤسسة (الجامع والزاوية) من أقدم المؤسسات الدينية. ويعتقد الباحثون أن قبر الشيخ القشاش كان في إحدى الغرف السفلى للزاوية التي وقد حملت رقم 35 من شارع القناصل في البداية. ثم كان مصيرها الاحتلال العسكري ثم الهدم، كما هو مذكور مع الجامع، لتصبح بعد ذلك مدرسة للفنون الجميلة[41].

-مسجد علي بتشين :

استعمل كصيدلية مركزية للجيش قبل أن يحول إلى كنيسة سيدة النصر[42].

-جامع سيدي الرحبي:

ويعرف أيضا بجامع ابن كمخة، وكان هذا الجامع أكبر جوامع الدرجة الثانية لضخامته واتساع مساحته. وهو جامع قديم يرجع إلى القرن السادس عشر(العاشر الهجري)، عطل عن غرضه وسلمته السلطات الاستعمارية 1833 إلى الجيش فاستعمله لتخزين المواد الصيدلية، وكان يعتبر المخزن المركزي للأدوية العسكرية. وقد بقي على ذلك سبع سنوات. ثم وقع هدمه سنة 1840 بدعوى أنه أصبح متداعيا وآيلا للسقوط. كان يقع بين شارعي باب الواد وتورفيل. وقد عده هايدو من بين الجوامع السبعة بالمدينة[43]

-مسجد شرشال:

أصبح مستشفى عسكريا، ومسجد البليدة الذي تحول في 1840 إلى مستشفى عسكري ومناراته إلى برج مراقبة[44]. إلى جانب المؤسسات الدينية التي حولت إلى مراكز صحية، عرفت المؤسسات الحكومية وأملاك رجال الدولة الجزائرية نفس المصير. فبعد سقوط العاصمة واستيلاء الفرنسيين على كل ممتلكات الدولة وممتلكات رجال الحكومة تم التنازل عن المنزل الريفي للداي حسين بباب الواد لصالح الجيش الذي حوله إلى مستشفى عسكري عرف بمستشفى الداي، قبل أن يحول إلى مستشفى تكويني يحمل اسم الدكتور مايو (Maillot) سنة 1917[45].

أقيم المستشفى في فيلا الداي الموجودة منذ 1791، واقترح الدوق دو رفيغو (Duc De Rovigo) وضعها تحت تصرف الجيش ليضع فيه مرضاه . حيث أضيفت لها أكواخ من الحطب وضعها الجيش بطاقة استيعاب ما بين 1200 و1500 مريض[46].

خصصت الفيلا للضباط في طور العلاج وللطبيب المسؤول، وألحقت به عدة بنايات موجودة في منطقة سالبتريير (Salpétriere) منها دار البارود (مكان كان مخصصا لإنتاج ملح البارود الموجه لصناعة بارود المدافع خلال الفترة العثمانية). حيث كان قريبا من المستشفى، والذي كان بمثابة ملحق منقذ له، تم فتحه سنة 1831[47]، بطاقة استيعاب ما بين 1100 و1200 مريض، من هنا أضحت طاقة استيعاب المستشفى بملحقه حوالي 2700 مريض . ثم ألحق به ضريح سيدي يعقوب الذي كان بالقرب من دار البارود. وفي سنة 1837، زود المستشفى بحديقة نباتات وضعت تحت تصرف مصلحة الصحة[48].

وتغير اسم المستشفى سنة 1917 من مستشفى الداي إلى مستشفى الدكتور مايو . حيث قام بزيارته عدة شخصيات ووزراء فرنسيين منهم نابليون الثالث سنة 1865، والجنرال اندري وزير الحربية سنة 1900 والوزيران بورال وانتيرو سنة 1925.

تواصل استغلال الفرنسيين لمختلف المواقع كمستشفيات عسكرية في مختلف أنحاء البلاد، وفي مختلف دوائر عمالة الجزائر، في المناطق الحضرية الكبيرة حيث انتشار المستوطنين وتماشيا مع احتياجات الجيش الفرنسي، حتى بلغ عددها سنة 1833، 11 مركزا . ومع انتشار وباء الكوليرا في مدينة الجزائر سنة 1835 ظهر عجز الحكومة الفرنسية في توفير المستشفيات للمصابين حيث تم تحويل عدد كبير من المرضى إلى منطقة بوزريعة لدى الأخوات البيض لتلقي العلاج، مما تطلب إنشاء مستشفيات جديدة. فبعد مستشفى الداي بالعاصمة سنة 1830 ومشفى وهران 1832، تم إنشاء مستشفى دويرة ومستغانم سنة 1835 وبعدها قالمة 1837، حتى بلغ عددها سنة 1843، 22 مستشفى، 15 منها في عمالة الجزائر، و5 في عمالة وهران، و1 في عمالة قسنطينة، لتصل سنة 1845 إلى 38 مستشفى، بطاقة استيعاب 13700 مريض، وقد ضمت مدينة الجزائر لوحدها 2130 سرير بمستشفى الداي، و900 سرير في مستشفى مصطفى باشا[49]. رغم هذا العدد الهائل من الأسرة في المستشفيات لم يكن الجزائري يحظى ولو بسرير واحد منها، حتى أنه يمنع عليه منعا باتا دخول هذه المستشفيات أو التقرب منها[50].

ولقد كانت المستشفيات العسكرية تعمل كمؤسسات مستقلة ملحقة بالمستشفى المركزي من حيث المحاسبة والتموين بالوسائل والأدوية. يدير هذه المستشفيات طبيب عسكري مسؤول يترأس عددا من الأطباء، إضافة إلى صيدلي عسكري في المؤسسات الكبيرة .كانت المستشفيات العسكرية تستقبل الجيش الفرنسي من كل الفئات وكل الرتب، وأفراد مصلحة المستعمرات، وعمال الجمارك، ومصالح الغابات والمياه، وعمال المصالح الإدارية، وبعض المستوطنين إذا اقتضت الحاجة. وقد بلغ عدد المستشفيات العسكرية في مقاطعة الجزائر العسكرية سنة 1896 على سبيل المثال، 21 مستشفى بعدما كان العدد ستة عشرة مستشفى ومستوصف نقال سنة 1862، حسب ما يوضحه الجدول التالي:

مقر المستشفى	تاريخ الإنشاء	مقر المستشفى	تاريخ الإنشاء
مستشفى الداي	1831	بوغار	1844
البليدة	1839	الجلفة	1856
سور الغزلان	1839	ذراع الميزان	1857
شرشال	1839	الأربعاء ناث ايثراثن	1857
المدية	1839	الاغواط	1857
مليانة	3918	ورقلة	1860
الأصنام	1842	غرداية	1865
تنس	1842	بوسعادة	1867
ثنية الحد	1842	القليعة	1873
دلس	1844		[51]

2- المستشفيات المدنية 1830–1870

وجه النظام الصحي الاستعماري في الجزائر منذ الوهلة الأولى لتلبية متطلبات الجيش، حيث أقيمت المستشفيات تماشيا مع انتشار جنود الاحتلال، إلا أن نتائج وباء الكوليرا سنة 1835، التي كانت وخيمة على الأوروبيين، أظهرت عجز السياسة الصحية الفرنسية في تلبية حاجيات المستوطنين، حيث اضطرت الحكومة أمام عدم كفاية المستشفيات إلى وضع خيم لعلاج المصابين، والاستعانة بالأخوات البيض للقيام بعملية التمريض والإسعاف، إذ تم تحويل عدد كبير من المرضى في مدينة الجزائر إلى منطقة بوزريعة لتلقي العلاج عندهن[52].

بقي الوضع على حاله إلى غاية 1839، حين زار الدوق دورليان (Duc D'Orléans) الجزائر، وثار على الوضع السيئ للقطاع الصحي وإهمال الحكام للمستشفيات، حيث وجد ثلثي المرضى ليس لهم أسرة، وثلاثة أرباع منهم بدون أفرشة، وأغلبهم في الخيم والباقي تركوا في الهواء الطلق[53].

بدأ الاهتمام بعد ذلك بالوضع الصحي للمستوطنين والتفكير في إقامة مستشفيات مدنية في الجزائر لصالح الأوروبيين، دون إعارة أدنى اهتمام لصحة الجزائريين رغم كثرة عدد الإصابات في صفوفهم بسبب وباء الكوليرا الذي لم يعرفوه قبل مجيء الفرنسيين، والذي دخل البلاد مع أفواج المستوطنين والجنود وحتى أفراد الطاقم الطبي.

زاد عدد المستشفيات المدينة في الجزائر بعد إنشاء المكاتب العربية سنة 1844، وفتح مصلحة طبية على مستوى كل مكتب عربي، مع إنشاء عدة مستشفيات للنقاهة عقب انتشار الأوبئة، مثل مركز بئر خادم الذي تأسس إثر الانتشار الرهيب لوباء الكوليرا خلال خمسينيات القرن التاسع العشر. وتضاعف عددها في عمالة الجزائر بالخصوص بعد سنة

1870، مع تزايد عدد الوافدين من المستوطنين على الجزائر، حتى فاق عددها 29 مستشفى يستقبل المرضى من كل الجنسيات، مع وضع عراقيل أمام الجزائريين.

أقيم أول مستشفى مدني فرنسي في عمالة الجزائر سنة 1832، بشارع القنصل في المسجد القديم القشاش، بعدما استعمل مخزن للأسرة العسكرية سنة 1831، حيث حولته السلطات العسكرية إلى عيادة لاستقبال المدنيين المعوزين بصفة مؤقتة، ثم إلى مخزن مركزي للمستشفيات العسكرية قبل أن يصبح مدرسة للفنون الجميلة، فاعتبر كأول مستشفى مدني للأوربيين كان يسيره الطبيب Bowen[54].

تحول مقر العيادة سنة 1838 إلى ثكنة الانكشارية تسمى الخراطينKHERRATINE بسبب دكاكين الخراطين المحاطة بها في شارع باب عزون[55]، وحسب الدكتور رينود كان المستشفى خلال سنة 1848–1849، يستقبل حوالي 307 مريض، إضافة إلى أكثر من 180 آخرين في ملاحقه الثلاث منها ملحق ريفي في دالي براهيم[56].

وفي سنة 1852 تم تحويل المستشفى إلى منطقة مخيم الصيادين ببلدية مصطفى ليكون المقر النهائي له تحت اسم مستشفى مصطفى باشا. سلم التسيير الداخلي لهذه المستشفيات المدنية للأخوات البيض منذ سنة 1875، وقد كانت تستقبل المدنيين والعسكريين على حد سواء.

كان انتشار المستشفيات المدنية في عمالة الجزائر خلال القرن التاسع عشر في عدة مناطق وهي: الجزائر، حجوط، الدويرة، الثنية، بوفاريك، وبئر طرارية، هذه الأخيرة التي كانت تحوي المستشفى البلدي الوحيد في دائرة الجزائر، وقد بلغ عدد المستشفيات المدنية سنة 1862 حسب إحصائيات الحكومة العامة للجزائر، أربعة عشرة مؤسسة استشفائيةفي البلاد[57]. وقد تضاعف عدد المؤسسات الصحية المدنية في الجزائر خلال القرن العشرين، وزاد انتشارها على مستوى العمالات الثلاث، حيث أصبحت في عمالة الجزائر موزعة كالتالي:

مستشفى مصطفى باشا بمدينة الجزائر وملاحقه القطار وبارني، وملجأ- مستشفى الدويرة، وملجأ- مستشفى الحجوط، وملجأ مستشفى ثنية، ومستشفيات مليانة وبوفاريك، وشرشال وبني مسوس، والبليدة (مستشفى الأمراض العقلية) والأصنام، وسور الغزلان، ودار الوقاية (préventorium) ببرج البحري، إضافة إلى مستشفيات الأهالي والمؤسسات الصحية الخاصة[58]. وفي ما يلي أشهرها :

مستشفى مصطفى باشا

تأسس مستشفى مصطفى باشا سنة 1832 في ثكنة قديمة للإنكشارية في باب عزون على أساس أنه مستشفى عسكري، ثم تنازلت عنه الإدارة العسكرية للإدارة المدنية سنة 1833، وفي 1849 أقر المجلس البلدي لمدينة الجزائر تحويله إلى منطقة مصطفى، وكان ذلك سنة 1852، تكفلت به دينيا الأخوات البيض سان فانسون دو بول (Saint-Vincent de Paul) منذ 1842[59].

افتتح المستشفى يوم 1 أوت 1854 بمباركة رئيس أساقفة الجزائر، وتم توسيعه ليشمل ثمانية هكتارات، بفضل العطية

التي قدمها المستوطن فورتان ديفري (Fortin d'Ivry) حيث منح يوم 19 سبتمبر 1840 ما قدره 12000 فرنك لمدينة الجزائر لإنشاء مستشفى مصطفى باشا المدني.

كان المستشفى يضم في أفريل 1857، طبيبين وجراحين وصيدليين، إضافة إلى تسعة أطباء متربصين داخليين، و49 ممرضا أو عاملا يوميا، وتمكن من استقبال عشرين حالة في اليوم خلال سنتي 1856–1857، وفي يوم 18 جانفي 1859 افتتح المستشفى رسميا لتقديم الدروس لطلبة الطب كمستشفى تكويني.

ولتفادي الإقامة المستمرة للمرضى والعجزة في المستشفى تطلب الوضع إنشاء ملجأ في ملحق الدويرة لاستقبالهم منذ 1858، وفي نفس السنة تم تحويل مصلحة الأمراض الزهرية بمستوصف بئر طرارية إلى مصطفى باشا، وخلال انتشار وباء الكوليرا سنة 1866 تم إحداث مستوصف متنقل تابع للمستشفى مخصص لعلاج وعزل المرضى بمنطقة الحامة. واستمرت عملية توسيع المستشفى خلال الفترة 1866–1877، وتم تعيين أول مدير للمستشفى سنة 1883. كان مكونا من أربعة عشر جناحا، أربعة منها للعمليات الجراحية، وضم ستة تخصصات، هي : الطب والجراحة العامة، وطب الأطفال بموجب قرار 20 أكتوبر 1883، ومصلحة التوليد بقرار 26 جوان 1884، ثم مصلحة الأمراض الجلدية، ومصلحة طب العيون، هذه الأخيرة التي أنشئت سنة 1879 بعدما كانت تابعة لمصلحة الجراحة قبل ذلك إلى جانب مصلحة مرض السرطان سنة 1928، توقف تطوير المستشفى مع الحرب العالمية الثانية ليعاد المشروع سنة 1944، حيث تم افتتاح مصالح جديدة منها مصلحة الجهاز التناسلي، والمسالك البولية في مارس 1953[60].

إن تطور المستشفى تطلب إقامة عدة ملاحق له نذكر منها، فيلة بارني (Parent) بحسين داي والمخصصة للنقاهة، وملحق ببلدية بئر مراد رايس، وإنشاء ملحق للأمراض المعدية بالقطار سنة 1896 بعد ظهور وباء التيفوس بالمنطقة. وإلى جانب العلاج كان المستشفى يقوم بتكوين الأطباء، حيث كان عبارة عن مدرسة للطب والصيدلة، ضم 6 تخصصات -سلف ذكرها- هي : الطب العام والجراحة والولادة والأمراض الجلدية وطب الأطفال وطب العيون[61].

مستشفى دويرة:

تأسس مستشفى عسكري في منطقة دويرة على بعد 22 كلم من مدينة الجزائر سنة 1831، تلبية لاحتياجات الجيش خلال السنوات الأولى للاحتلال، ثم تم التنازل عنه للإدارة المدنية يوم 1 ماي 1849، وتكفلت به دينيا الأخوات البيض سان فانسون دو بول منذ 1859، كان في بداية الأمر مجرد عيادة بسيطة موجهة لاستقبال العجزة وذوي الأمراض المستعصية، ثم بدأ يستقبل المرضى المدنيين من المعوزين المصابين بأمراض حادة وحتى المساجين والنساء الحوامل في الشهر التاسع، فتحول بعد ذلك إلى مستشفى. وفي سنة 1923 فتح كملحق لمستشفى مصطفى باشا، لمصلحتي جراحة الأطفال الخاصة بأمراض العظام المزمنة وأمراض السل الخارجية. بلغت طاقته الاستيعابية في مطلع ثلاثينات القرن العشرين بـ 561 سريرا، منها 215 للمرضى و346 للمقيمين، ونظرا لكون عدد المقيمين فيه أكثر من المرضى فقد أطلق عليه مصطلح مستشفى-ملجأ[62] (Hôpital-Hospice).

مستشفى الحجوط (Marengo):

تأسس سنة 1850، بعد انتشار وباء الكوليرا في عمالة الجزائر سنة 1849، كان في الأصل عبارة عن مستوصف مكون من 30 سريرا، مسيرا من طرف الأخوات البيض، ثم أصبح مؤسسة لائكيه سنة 1880، وهو عبارة عن مستشفى - ملجأ، يجمع بين إيواء العجزة وعلاج المرضى المصابين بالأمراض المستعصية وبعض الأمراض المعدية، وعدد المقيمين فيه أكثر من المرضى[63].

مستشفى الثنية (Ménerville):

مستوصف عسكري تأسس سنة 1872 وبعد ثلاث سنوات تم التنازل عنه للسلطات المدنية سنة 1875، وهو عبارة عن مستشفى - ملجأ، تسييره مستقل ولائكي، كان يضم 7 أجنحة (2 للعجزة و4 للمرضى، و1 للعزل)، بسعة 180 سريرا، منها 116 سريرا للعجزة وذوي الأمراض المستعصية، و42 سريرا للمرضى والجرحى، و13 سريرا في جناح خاص لعزل ذوي الأمراض المعدية، و9 أسرَّة لمصلحة التوليد، وقاعة للعمليات، وباعتبار أن أغلب الأسرة للعجزة والمعتلين فهو ملجأ أكثر من كونه مستشفى[64].

مستشفى بوفاريك:

تم إنشاء مستشفى وسط مدينة بوفاريك سنة 1832 من طرف الجيش الفرنسي، لعلاج الجرحى والمرضى من الجزائريين، في كوخ من الحطب، ليأتي بعد ذلك الدكتور بوزان (Pouzin) طبيب الحاكم العام، الذي أقام في جانفي 1835 خيمة بسوق بوفاريك على بعد عشرين كلم من العاصمة يقدم فيها العلاج والأدوية للجزائريين بالمجان إلى غاية 1839[65].

قامت البلدية بإعادة إحياء المستوصف وبقي يعمل إلى غاية 1872، ثم تبرع السيد سلتز (Seltz) رئيس البلدية السابق لبوفاريك، ببناية ثم تحويلها إلى مستشفى وحصل على الاستقلالية في التسيير سنة 1890، بدأ يستقبل المرضى سنة 1905 وتم توسيعه وتحويله في نهاية العشرينات إلى مستشفى استعماري، نظمت فيه مصلحة للفحص خاصة بالنساء والأطفال المسلمين ومصلحة للطب العام، وخصصت قاعة لفحص المرض بذوي الأمراض التناسلية[66].

مستشفى بئر طرارية:

تأسس أول مستشفى بلدي بمنطقة بئر طرارية تحت اسم جون بارت (Jean-Bart)، لعلاج المعوزين ذوي الإصابات البسيطة، بسبب العدد الهائل من المرضى في هذه الشريحة ولارتفاع تكاليف العلاج اليومي بمستشفى مصطفى حيث اقترح السيد كريسبان (Crespin) نائب رئيس البلدية المكلف بالنظافة والإسعاف سنة 1902، إنشاء عيادة موجهة لعلاج الفقراء في هذه المنطقة التي قال عنها أنها موقع يضمن الشفاء العاجل لعدة أمراض، وقليلا ما نجد ذلك في نفس المؤسسات الأكثر شهرة في الخارج، طبق المشروع إلا أن وضعية هذه العيادة كانت سيئة للغاية لضيق قاعات الانتظار والفحص وعدم توفرها على التجهيزات الضرورية، حيث كان المرضى ينتظرون دورهم للفحص في الشارع مما زاد في تدهور حالتهم الصحية خاصة في فصل الشتاء للمصابين بالأمراض الصدرية، وقد وصف صاحب كتاب النظافة وعلم الأمراض في

شمال إفريقيا أن هذا العلاج لم يكن طبا وإنما صورة كاريكاتورية للطب. وفي ظرف قصير أصبحت العيادة مستشفى، ضم ثلاثة أجنحة للجراحة وللطب ومصلحة لعزل المرضى المصابين بمرض السل وعدة بنايات ملحقة[67].

-مدرسة الجزائر الطبية وبدايات التعليم العالي في الجزائر 1857–1879

أنشئ التعليم العالي في الجزائر بموجب قانون 20 ديسمبر 1879، المنشئ للمدارس العليا، ولكن كما هو الحال مع التعليم الابتدائي والثانوي، فقد اتخذ التعليم العالي منحى استعماري بحت: «توفير التعليم لجميع أطفال المستوطنين الأوربيين المقيمين في الجزائر»[68].

وقد سبق صدور هذا القانون انشاء المدرسة الإعدادية للطب والصيدلة في الجزائر العاصمة بموجب مرسوم 3 أوت 1857، بناءً على طلب من جمعية الطب بالجزائر التي كانت تحت رئاسة العقيد الدكتور برتراند 69). Bertherand) حولت هذه المدرسة إلى مدرسة عليا للطب والصيدلة تطبيقا لقانون 20 ديسمبر 1879 السالف الذكر. وتم وضعها تحت رعاية كلية الطب في مونبلييه، التي أصدرت الدبلومات[70].

كانت هذه المدرسة الطبية وريثة مدرسة تدريب الجيش التي نظمها بودنز (1804–1857) في عام 1832 في مستشفى الداي العسكري بباب الوادي[71]. تم إعطاء أول دورات علم وظائف الأعضاء والتشريح لهذه المدرسة الأولى في يناير 1832 من قبل الصيدلي الرائد ستيفانو بول poli stephano[72] والجراح الرئيسي بودن Baudens[73]. وافتتحت رسميا في عام 1833، تم توفير التعليم الطبي من قبل الأطباء العسكريين ومخصص للطلاب الأوروبيين. وضع المتصرف المالي جنتي دي بوسي، الذي كان مسؤولاً أيضًا عن النظافة والصحة في مدينة الجزائر، في 12 سبتمبر 1832، مرسومًا بإنشاء هيئة محلفين في الجزائر العاصمة لفحص واستقبال المرشحين الفرنسيين والأجانب الذين يتطلعون إلى أن يصبحوا صيادلة[74]. ويمكن لهيئة المحلفين هذه، المؤلفة من طبيب وجراح وثلاثة صيادلة عسكريين، تقديم دبلوم صيدلي يسمح لممارسة الصيدلة في مدينة الجزائر[75].

في 10 يونيو 1833، فتحت مذكرة من وزير الحرب ساحات مستشفى الداي للتدريب للطلاب الأتراك والمغاربة واليهود، لكن المارشال فالي، الذي وجد أن هذه المؤسسة مكلفة وغير مجدية، امر بغلقها عام 1836[76]. ومع ذلك فقد استمر إجراء الاستقبال إلى رتبة صيدلي حتى 12 يوليو 1851 عندما صدر مرسوم بإنشاء هيئات المحلفين الطبية في كل من المقاطعات الثلاث (الجزائر ووهران وقسنطينة)[77].

و قد كانت هناك سنة 1935 لجنة من ثلاثة أساتذة من مستشفى التعليم العسكري مسؤولة عن توثيق شهادات الأطباء والصيادلة المقيمين في الجزائر، ومراقبتهم[78]. وفي عام 1852، تم إنشاء مختبر مركزي للتحليلات في الجزائر العاصمة لاستغلال الموارد الإقليمية وتطوير المحاولات الصناعية. كان على جميع الصيادلة العسكريين العاملين في الجزائر أن يتدربوا هناك. تم استبداله بمختبر إقليمي تم تركيبه في مستشفى داي وضمه إلى الصيدلية[79].

من بين الصيادلة الرواد في هذه الفترة، يمكننا الاستشهاد ببرتويل الذي خدم في الجزائر من 1830 إلى 1841، ويمكننا

أيضًا الاستشهاد بماري، التي درست مياه حمام ملوان أو موريديفوري المهتمة بدراسة العلق التي اعتنى بها فاسيل وكلود في بوفاريك ؛ يوجين مليون طبيب وصيدلاني درس القمح والنباتات العطرية والمياه المعدنية بما في ذلك فريس فالون[80].

من عام 1855، وتحت تأثير العقيد الطبيب برتراند، تم إنشاء المدرسة الثانية للطب والجراحة في في مستشفى الداي في باب الواد، وكان من المفترض أن تظل هذه المدرسة مدرسة عسكرية لفترة طويلة، ولكن شيئًا فشيئًا، سمح للمدنيين العمل والعلاج بها، ورخص للطلاب الاهالي حضوردروسها، وخاصة اليهود[81].

و بعد ذلك بعامين، أنشأ مرسوم 4 أوت 1857 مدرسة طبية في الجزائر العاصمة. إذ شارك اثنا عشر معلمًا في غرفة تقع في 4 شارع رينيه كايلي (زقاق متعامد مع شارع باب عزون). ثم تألف طاقم المدرسة من ثمانية أساتذة دائمين، وأربعة بدائل، ورئيس أعمال تشريحية، ومحامي ومجهز[82].

وفيما يتعلق بجلسات الامتحانات، تم وضع المدرسة، بموجب هذا المرسوم، في منطقة كلية الطب والمدرسة العليا للصيدلة في مونبلييه. الدبلومات التي أذن للمدرسة بإصدارها هي شهادات «ضباط صحة من الدرجة الثانية وصيادلة وقابلات». كان يتعين على حاملي هذه الدبلومات الحصول على تأشيرة للدبلوم أو شهادة الكفاءة من محافظة المقاطعة حيث ينوون ممارسة مهنتهم. مطلوب تأشيرة جديدة إذا قاموا بتغيير المساكن.

تم قبول المسلمين الذين حصلوا على تعليم عالٍ في المدارس الفرنسية العربية في المدرسة على إصدار شهادة دراسات معتمدة من السلطة الإدارية وعلى الشهادة التي تم منحها بعد الفحص من قبل المدير. من الكلية الإمبراطورية العربية الفرنسية التي تؤكد أنها كانت قادرة على متابعة الدورات. كما تم قبول الأجانب أو المسيحيين أو المسلمين في المدرسة، إذا أظهروا دليلاً على استعدادهم لحضور الفصول الدراسية[83].

في عام 1859، خلال السنة الدراسية الأولى، صرح الدكتور دي لاكروا: **«ستتميز مدرسة الجزائر عن مدارس فرنسا بنوعية تكوين طلبتها، سيأتي للدراسة في صفوفنا الشباب الأوربيين الذين يساهمون في استيطان الجزائر»** .

عامًا بعد عام، زاد عدد الطلاب وكان أول طالب طب Melle Rengguer في عام 1865[84] وبموجب القانون المؤرخ في 20–12–1879 المنشئ للمدارس العليا بالجزائر، تحولت المدرسة إلى مدرسة عليا للطب والصيدلة، وبموجب القانون المؤرخ في 30–12–1909 تحولت إلى كلية للطب والصيدلة تابعة لجامعة الجزائر[85].

خاتمة

رغم محاولات المستعمر الفرنسي إيجاد حلولا جادة للأوضاع التي آلت إليها الحالة الصحية في الجزائر المستعمرة حديثا، إلا أن تلك الحلول كانت عرجاء لكونها حلولا عنصرية في حد ذاتها لأنها، وضعت لخدمة العنصر الدخيل ولم تأخذ بعين الاعتبار العنصر المحلي الذي اعتبرته من الدرجة الثانية وفي بعض الأحيان تعمدت ذلك عملا على تصفيته بكل الطرق المشينة، كما اصطدمت تلك المحاولات بأوبئة وإمراض فتاكة مصدرها أوربا عامة وفرنسا خاصة، التي احتلت الجزائر مدعية إدخال الحضارة في هذه البلاد واذ بنا نجدها تنشر البربرية والتخلف.

الهوامش:

1- Laugier De Tassy, Histoire de la royaume d'Alger, Amsterdam, p 82.

2- الرحالة الانجليزي توماس شو 1692—1751 **(Thomas Shaw)** : زار الجزائر في الفترة الممتدة مابين (1720—1732) من 12 سنة التي قضاها في الجزائر في كتابه **«رحالات الى بلاد الشام وشمال إفريقيا والبتراء العربية»**. ينظر:

ZEHOR ZIZI, **Thomas Shaw (1692—1751) a Tunis et Alger : missionnaire de la curiosité européenne, Thèse de doctorat en Études anglaises**, Soutenue en 1995 à Caen.

3- يعد الأستاذان خياطي وعبيد وغيرهما من الباحثين من ابرز الأطباء الذي كرسوا أقلامهم للبحث في التاريخ الطبي للجزائر ورفع اللبس عن الخرافات التي حيكت من طرف الاقلام الاستعمارية عن تاريخ الطب الطب في الجزائر قبل 1830. ينظر:

Mustafa Khiati, **« la médecine en Algérie au Moyen Âge »**, essai, aux éditions Houma, Alger, 2013

L.Abid : **«La pratique médicale en Algérie de 1830 à nos jours»**, ANEP, 2009.

4- أدريان بربروجر: Louis-Adrien Berbrugger 1801—1869 : مؤسس ومحافظ المكتبة الوطنية والمتحف الوطني والجمعية التاريخية الجزائرية والكاتب الخاص للماريشال كلوزيل. ينظر محفوظ حفيان، قراءة في مخطوط **Mémoire sur la peste en Algérie**، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية-قسنطينة 2019، المجلد 33، العدد 03.

5- BERBRUGGER, A. Mémoire sur la peste en Algérie, Manuscrit, N°3305, bibliothèque nationale Algérienne.et BERBRUGGER, A. « mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 jusqu'en 1819 », Exploration scientifique de l'Algérie, t. II, Paris, 1847.

6- صليحة علامة، **تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون - الجذري - اليفوس – الملاريا)**، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2011، ص 211.

7- ارزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائرو عوامل انهياره، 1800—1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر 2011، ص 84.

8- شويتام، نفسه ص 85.

9- بن العنتري، محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتعليق بوعزيز يحي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991. ص 87.

10- بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671—1830)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر 2016. ص 273.

11- تشير المصادر الى بقائه تحت الخدمة باسم كراتين تشويها لاسم خير الدين. ينظر: L.Abid .Ibid

12- Larbi Abid, La pratique médicale en Algérie avant 1830 (1re partie), https://www.elwatan.com/archives/idees-debats/la-pratique-medicale-en-algerie-avant-1830-1re-partie-18-11-2006.

13- Ibid.

14- أ.ف.شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، في أعمال الكاملة لأبي العيد دودو تر، تق، أبو العيد دودو، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2009، ص07. ينظر ايضا:

MW Hilton Simson, ARAB MEDICINE & SURGERY A Study of the Healing Art in Algeria, London, Oxford University Press, 1922, p 07.

15- فايفر سيمون، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، تر. أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1998.

16- بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671—1830)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة معسكر 2016. ص 274.

17- L. Abid, **La pratique médicale en Algérie avant 1830**, ibid.

18- ROLLET-ÉCHALIER, Catherine, **La Politique à l'égard de la petite enfance sous la IIIe République**, Paris, INED-PUF 1990,p 162. Voir aussi : BARTHÉLÉMY, Pascale (2004), **«Sages femmes africaines diplômées en AOF des années 1920 aux années 1960»**, 119-144, in Histoire des femmes en situation coloniale, Anne Hugon (éd.), Paris, Karthala

19- L. Abid, **La pratique médicale en Algérie avant 1830**, ibid. Voir aussi : André Savelli , Le Service de santé des armées dans les Territoires du Sud algérien , Publication du Cercle Algérianiste de Montpellier, Collection «Mémoires d'Autrefois» N° 2 ,Montpellier - Octobre 2008 - Nouvelle édition.

20- بلقاسم قرباش، مرجع سابق ص 272.

21- Bertrand Taithe, **«La famine de 1866-1868 : anatomie d'une catastrophe et construction médiatique d'un événement»**, Revue d'histoire du XIXe siècle [En ligne], 41 | 2010, mis en ligne le 30 décembre 2013, consulté le 30 avril 2019. URL : http://journals.openedition.org/rh19/4051 ; DOI : 10.4000/ rh19.4051.

22- Aissa Merah, **L'INFORMATION SUR LA SANTÉ EN ALGÉRIE. ETUDE D'UNE EXPÉRIENCE RÉUSSIE MAIS ISOLÉE**, Dans **Les Enjeux de l'information et de la communication 2009/1 (Volume 2009)**, pages 63 à 78.voir aussi : Emilie Mosnier. Epidémiologie des maladies infectieuses et épidémiques en milieu isolé Amazonien.Maladies infectieuses. Université de Guyane, 2017.

23- صليحة علامة، **الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 (عمالة الجزائر نموذجا - دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر**، جامعة تلمسان 2017، ص 168.

24- **Louis Francisque Lélut** (1804/1877), médecin.15 documents,in-8 et in-folio. Paris, 1853-1855.

25- Bourdelais Patrice, Demonet Michel, Raulot Jean-Yves. **La marche du choléra en France : 1832-1854**. In: Annales. Economies, sociétés, civilisations. 33emes année, N. 1, 1978. pp. 125-142.

26- Luc Chantre, **Le pèlerinage à La Mecque à l'époque coloniale (v. 1866-1940) : France – Grande-Bretagne – Italie, THÈSE**, Pour l'obtention du grade de DOCTEUR DE L'UNIVERSITÉ DE POITIERS, Histoire moderne et contemporaine, 2012, P 87.

27- Boufenara K. Labii B. **LES MILITAIRES FRANÇAIS ET LA DYNAMIQUE DE LA STRUCTURE SANITAIRE EN ALGÉRIE DURANT LA PÉRIODE COLONIALE**. Sciences & technologie.

D, Sciences de la Terre, Volume 0, Numéro 30, Pages 9-18

28- L Abid, les épidémies de choléra en algérie au cours du 19ème siècle, In Abid L, « Les épidémies de choléra en Algérie au cours du 19ème siècle », Site www.santemaghreb.com, 4 décembre 2006.

29- ذكرت المصادر إلى جانب الضحايا العسكريين الفرنسيين بعمالة الجزائر زعماء جزائريين مثل قائدي عرش حجوط بن بدرة والبشير. ينظر:

Augustin Fabre et Fortuné Chailan, **Histoire du choléra-morbus asiatique depuis son départ des bords du Gange en 1817 jusques à l'invasion du midi de la France en 1835**.Imp. Marius, Marseille 1835, p 438.

30- Mathieu-François-Maxence Audouard, **Histoire du choléra-morbus qui a régné dans l'armée française au nord de l'Afrique**, Pari 1836,p 25. Et L Abid, Ibid.

31- Audouard, Op-Cit,p 06. ET L Abid, Ibid.

32- انتقلت العدوى إلى كل من دويرة وشرشال، البليدة وبوفاريك، مليانة وتنس، الأصنام والقليعة وسور الغزلان ومتيجة والمدية، إذ نقلت إليها العدوى بسبب الحملة الفرنسية على منطقة الزعاطشة 1949، بعد ما أصابت كل من بئر مراد رايس، وبئر خادم، وحسين داي، وأولاد فايت، وخرايسية، وبابا حسن، وثنية الحد، وحمر العين، والعفرون، وبوروومي، مخلفة 1572 حالة منهم 932 في شهر سبتمبر، و487 في شهر أكتوبر، و153 في شهر نوفمبر. ينظر: علامة، مرجع سابق، ص.ص 171—172.

33- Mafart Bertrand, Morillon Marc. **Les épidémies à Marseille au XIXe siècle**. In: Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, Nouvelle Série. Tome 10 fascicules 1-2, 1998. pp. 81-98. Et Méli (H.), Du choléra asiatique dans la ville de Marseille en 1849, Chauffard, Marseille, Chauffard, Marseille1850 ,86 p.

34- كمال بيرم، **الوضع الصحي بإقليم الحضنة (الجزائر) ووقع الاحتلال الفرنسي بين 1840—1945**، معارف Volume 12, Numéro 22, P 109-227

35- Claire Fredj **L'hôpital militaire et l'accommodation à l'occupation en Algérie (années 1830-années 1850)**, in Le temps des hommes doubles, Presses universitaires de Rennes 2013, p. 177-191.

36- صليحة علامة، الاحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 (عمالة الجزائر نموذجا - دراسة تاريخية)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تلمسان 2017، ص 382.

37- وجدت فرنسا بالعاصمة وحدها 132 مسجدا، فلم تترك الا 12 مسجد على حالها، ينظر:

Menhour Asma, Evolution de la mosquée en tant que patrimoine architectural religieux Cas de la mosquée ottomane à Constantine, THESE DE MAGISTER Option : préservation du patrimoine architectural, Univ-m, Constantine 2012, p 133.

38- أ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.ص 43—44.

39- نفسه، ج5، ص 30.

40- نفسه، ج5، ص 30.

41- نفسه، ج5، ص 112.

42- نفسه، ص 46.ينظر ايضا:

Chergui, S., « Construire, gérer et conserver les mosquées en al-Djazâ'ir ottomane »,thèse de doctorat, 3 vol, Paris IV, p. 836, 2007

43- نفسه، ص 20.

44- علامة، مرجع سابق، ص.385. ينظر:

Camille Rousset, LES COMMENCEMENS D'UNE CONQUÊTE: I. LE GÉNÉRAL CLAUZEL EN ALGÉRIE. , SEPTEMBRE 1830 — FÉVRIER 1831 Author(s), Revue des Deux Mondes (1829-1971), ROISIÈME PÉRIODE, Vol. 67, No. 1 (1erJANVIER 1885), pp. 39-77

45- Lefebvre Pierre. **La lutte contre le paludisme en Algérie pendant la conquête : François Maillot (1804-1894)**. In: Revue d'histoire de la pharmacie, 77e année, n°281-282, 1989. Bicentenaire de la naissance de Joseph Pelletier (1788-1842) et 75e anniversaire de la fondation de la Société d'histoire de la Pharmacie. pp. 153-162.

46- Klein Henri. **L'hôpital du Dey**. In: Les Feuillets d'El-Djezaïr, volume 7, 1914. Visites et excursions des années 1912 et 1913.

Monographies. Écrits divers. pp. 76-82.

47- Henri Klein , **Jardin du Dey**. In: Les Feuillets d'El-Djezaïr, hors-série, 1937. Feuillets d'El-Djezaïr – (volume récapitulatif) pp. 219-224.

48- Klein Henri. **L'hôpital du Dey, Op-Cit**. pp. 76-82.

49- Pierre-Jean LINON, **Pourquoi un programme de construction d'hôpitaux militaires permanents en Algérie avant la fin de la conquête (1841-1860)** ?, In: HISTOIRE DES SCIENCES MÉDICALES - TOME XLIII - N° 3 - 2009.

50- Henri Klein , **Jardin du Dey,op.cit**. pp. 219-224.

51- صليحة علامة، المرجع السابق، ص386.

52- Claire Fredj, S**oigner une colonie naissante : les médecins de l'armée d'Afrique, les fièvres et la quinine**, 1830-1870, Le Mouvement social No. 257 (OCTOBRE - DÉCEMBRE 2016), pp. 21-45 .Et Falgas Geneviève. Une congrégation missionnaire en Algérie (1835-1842) : **Les Soeurs de Saint-Joseph de l'Apparition**. In: Outre-mers, tome 100, n°380-381,2013. Missions chrétiennes et pouvoir colonial. pp. 163-183.

53- Société historique algérienne. Revue africaine : journal des travaux de la Société historique algérienne. 1856-1962.p 227.

54- Desportes Edmond. **Alger 1832 -Début des activités civiles**. In: Les Feuillets d'El-Djezaïr, volume

4, 1962. Les Feuillets d'ElDjezaïr. pp. 3-8.

55- ANOM, GGA 3F 8 ,**Installation de l'hôpital civil à Caratine** [Alger]. Séance du 8 avril 1839.Voir aussi: **Service des Hopitaux Militaires**, in: Moniteur algérien, 3 octobre 1837, p 4.

56- Arnaudiès Fernand, **anecdotiques et historiques du vieil Alger**

57- DR.B.BENSMAÏL , Dr. Mounia AMIAR, **LA PRATIQUE MEDICALE EN ALGERIE DURANT LA PERIODE COLONIALE**, https://facmed.univ-constantine3.dz/wp-content/uploads/2020/08/PRATIQUE-MEDICALE-EN-ALGERIE.pdf

58- La France charitable et prévoyante : tableaux des oeuvres et institutions des départements. Numéro 88 / publié par les soins de l'Office central des oeuvres charitables.... 1896. p 4.

59- Centre de Documentation Histoique sur l'Algérie; CDHA; Mémoire Vive; hôpital de Mustapha; Alger; Médecine. http://www.cdha.fr/lhopital-de-mustapha

60- Société de pédiatrie de Paris. **Archives de médecine des enfants**. 1932-01. p 496.

61- Ibid. p 497, La France charitable et prévoyante, Op-Cit, p 4.

62- Ibid. p 497

63- Ibid. p 497.

64- Ibid. p 497

65- Delle, F. **Étude sur l'organisation de l'assistance médicale hospitalière en Algérie** ,1914,p 68.

66- Société de pédiatrie de Paris.**Op-Cit**. p 497.

67- Alger. **Rapport du maire sur la situation financière de la ville d'Alger (1902-1907)**, présenté au conseil municipal à l'occasion du vote du budget supplémentaire de l'exercice 1907. Et: Alger. Bulletin municipal officiel de la ville d'Alger.1929-11-05

68- هي أول مدرسة أنشئت في العهد الاستعماري على أرض الجزائر. بدأت نشاطها سنة 1833 وكان يشرف على التدريس فيها أساتذة عسكريون، وذلك في مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة. ينظر:

Larbi Abid, L'école De Médecine D'Alger 150 Ans D'histoire: De 1857 à 2007, **Annales de l'université d'Alger** Volume 16, Numéro 2, Pages 5-45.

69- ايميل برتراند: Émile-Louis Bertherand (1821—1890)، طبيب عسكري في مستشفى الجزائر العسكري، اول مدير لمدرسة الطب بالعاصمة، تلميذ الجراح بودن.

70- Philippe Bonnichon , **Présences françaises outre-mer : (XVIe - XXIe siècles).** Tome II, Sciences, religion et culture, Paris : Karthala : ASOM, 2012.

71- J.-CI. COURTINE, **L'Armée d'Afrique et l'anesthésie-réanimation : de Baudens (1853) au Corps expéditionnaire français à la Première Armée (1942-1945) et à la guerre d'Algérie**. Communication présentée à la séance du 10 décembre 1983 de la Société française d'histoire de la médecine. p 411.

72- Nouschi André. Notes sur la médecine et la démographie en Algérie de 1840 à 1880. In: Annales de démographie historique.

1973. Hommage à Marcel Reinhard. Sur la population française au XVIIIe et au XIXe siècles. pp. 523-533.

73- Louis Girault et Autres, **ROLE DU SERVICE DE SANTÉ MILITAIRE DANS LA CONQUÊTE DE L'ALGÉRIE**, in (Bulletin de la Société française d'histoire de la médecine, 1939, n° 33,p196. Voir aussi : Louis Girault, Contribut. à l'étude du rôle du Service de Santé militaire. Conquête de l'Algérie, (1830-1847). Thèse de Paris, 1937, n' 037, Vigot, 106 p. in-8o.

74- Ibid

75- Bonnemain Bruno. **Histoire de la pharmacie française en Algérie (1830-1962)**. In: Revue d'histoire de la pharmacie, 96e année, N. 363, 2009. pp. 303-326.

76- Larbi Abid, **L'école de médecine d'Alger en 1857**, In La Nouvelle Revue de presse n° 49, CDES Oran, Dec 2019, p 15.

77- Larbi Abid, L'école De Médecine D'Alger, Op-Cit, Pages 5-45.

78- Ibid, Pages 5-45.

79- Ibid, Pages 5-45.

80- Bonnemain Bruno, Op-Cit, p 306.

81- BOUABDALLAH MOHAMED, **L'évaluation des programmes de formation des médecins généralistes à la lumière de l'approche systémique : Pour un développement de la dimension humaine et sociale dans leur formation universitaire**. THESE Présentée pour l'obtention du diplôme de Doctorat d'État en Psychologie du travail, Université Mentouri Constantine, 2004, p 15.

82- Larbi Abid, **L'école De Médecine D'Alger**, ibid. Pages 5-45.

83- وقد عين الطبيب العقيد برتراند Bertherand(1858—1862) مديرا للكلية الجديدة، ثم يتولى إدارتها عالم التشريح باتين (1863—1868) الذي كان يدير مختبر علم التشريح من 1859 إلى 1868، ثم بواسطة الطبيب ترولبير (1868—1870).

Jean-Marie LE MINOR, Les anatomistes d'Alger durant la période coloniale française, in HISTOIRE D E S SCIENCES M É D I C A L E S - N°4 – 2005, p 387.

84- Société d'économie politique (France ; 1847-....). Annales de la Société d'économie politique. 1865.p 248.

85- وفي الوقت نفسه اعطى هذا القانون الاستقلالية التامة لجامعة الجزائر عن جامعة مونبلييه، ينظر:

- Ahmed GHOUATI, **PROFESSIONNALISATION DES FORMATIONS SUPERIEURES ET EMPLOYABILITE EN ALGERIE**. Rapport de recherche IREMAM-CNRS Aix-en-Provence, juin 2015. P 16.